أصداء العفن (الصدى الأول)

حكى صديق لى فى القرية يكبرنى بأكثر من عشرة أعوام أن زوجة "عمر" أبو متولى أحد رجال البلدة، أصرت يوم أحضروه للدفن بعدما مات غريبا فى الأردن على أن يمكنها رجال القرية من النوم إلى جواره ساعة كاملة قبل أن يدفنوه، وعلى الرغم من إلحاحى عليه ليخبرنى عن السبب وراء إصرارها هذا ، وعلى الرغم من ادعائه العلم به حيث كان من الحاضرين لهذا المشهد المحفور فى ذاكرة كل من حضروه، إلا أنه أصر على عدم البوح بشىء، وبقيت بعدها فترة طويلة وأنا أفكر فى هذا الأمر، مصرا على الوصول إلى سره بمعونة عقلى وحسب، ودون حاجة لأحد ليعاوننى فيه، إلى أن أخبرنى هو بعد ذلك دون داع لأن يتطرق لهذا الموضوع ثانية أن "عمر أبو متولى" بعدما مات فى الأردن لسقوطه من الدور الرابع ، كان لابد من شق بطنه بمنشار حديد كهربائى، كالذى يشق به الخشب، لاستخراج أحشائه ودفنها كيلا تتلف الجثة كلها، وتبقى كما هى طوال فترة السفر، حينها ظننت أنها سمعت بهذا الشق وتريد أن تتأكد من صحته، وهدأ حينها عقلى .

وبعد فترة طويلة نوعا ما ، وأثناء حديثنا عن شىء بعيد تماما عن عائلة "عمر أبو متولى"، وبعيد أيضا عن قصة زوجته التى أصرت أن تزوج ابنها ذى الخمسة عشر عاما التى تروج فى القرية فى هذه الأيام، وبعيد أيضا عن حكاياتها مع "جمعة" البقال والذى رأيته يوما يحاول تقبيل زوجة ابنه رغما عنها، بعيدا عن كل هذا أخبرنى صديقى أن "عمر أبو متولى" قبل ذهابه إلى الأردن كان ذا علاقات متعددة مع كثير من

نساء القرية ، وكانت زوجته هذه تغار عليه من تراب الأرض، وكثيرا ما تشاجرت مع جاراتها وقريباتها لأجله، وفى النهاية اجتهدت لتجعله يسافر سفره هذا الذى دام عشر سنوات، انتهى بعودته نائما نوما لا تستطيع أن توقظه منه، لا هى ولا أولادها الثمانية ، وخصوصا ابنها "سيد" المشاغب أصغر أبنائها منه ، والذى شكك كثير من أهل القرية فى نسبته "لعمر" وادعوا أنه ربما يرث ذكاء "جمعه" البقال أو خفة "صابر" السائق فعاودنى التساؤل عن سبب إصرارها على النوم بجواره وهو ميت ساعة كاملة كما ذكر لى من قبل، وأصبحت لا أنام - تقريبا – من شدة التفكير فى هذا الأمر ...خطر لى أن أذهب إليها وأسألها عن السبب بحيلة ما، وخطر لى أن أسأل أحد أبنائها، واقتنعتُ فى النهاية أنه لا فائدة فى كل ذلك ولابد وأن أستنتج أنا شيئا أطمئن إليه وحسب؛ فيهدأ عقلى ، ويتلاشى الموضوع من ذاكرتى ، وبعد فترة خطر ببالى أنها ربما فعلت ذلك لتعوض نفسها عما فاتها فى فترة غيابه عنها، وخطر فى بالى أيضا أنها ربما تحاول أن تصل لشىء يبين لها مسيرة زوجها فى الأردن، من خلال أى علامة فى جسده، وتتأكد من أنه ما كان ليخونها هناك أيضا، ولكن لا سبيل أمامها لمعرفة ذلك. فى النهاية رجحت الخاطر الأول وهدأ عقلى قليلا.ولكنه مازال يفتش عن السبب.

وفى لقاء آخر مع صديقى هذا، ودون حاجة لأن يتطرق للموضوع أخبرنى أن كثيرا من رجال القرية الذين سافروا إلى الأردن، فى فترة سفر "عمر" وزاملوه فى الغربة وربما الغرفة أيضا أكدوا – أكثر من مرة – أن عمر كان زير نساء وما فوت يوما تقريبا دون أن يظفر بواحدة... هنا ازدادت الاحتمالات وازداد

عقلى فى توهجه للبحث عن السر ، ولم أعد قادرا على حسم الأمر، ولكننى اطمأننت بعد فترة إلى كونها ربما عاقبته بطريقة ما ومثلت بجسده.،وإن كنت مازلت أفكر.

ولم أعد قادرا أيضا على تفسير إصرار صديقى على إخبارى بهذه المعلومات القيمة عن عائلة "عمر" باستمرار . وبعد ذلك بشهر تقريبا حكى لى والدى وهو منهمك فى التدخين ليدفئ نفسه كما يقول دوما فى أيام الشتاء العصيبة أن "جمعة" البقال ما بنى بيته وكدس البضائع فى دكانه، وما زوج ابنه الفاشل بأجمل بنات "شعبان" الجزار إلا مما كان يرسله له "عمر". كان أبى يتكئ على كون زوجة ابنه أجمل أخواتها، وأخواتها أجمل بنات القرية، حتى ظننت أنه يعلم أنى رأيت "جمعة" وهو يحاول تقبيل زوجة ابنه هذه، فانصرفت ولم أنتظر ليكمل ما بدأ، وأنا فى أشد الحاجة لأن أعرف شيئا جديدا يوضح لى الأمر. وفى مساء هذا اليوم الذى أضاف لى أبى فيه شيئا ، أخبرن صديقى – وكأنه اتفق مع أبى على التوقيت – ودون حاجة أيضا لأن يتطرق للموضوع أن زوجة عمر فى ليلة دخلة ابنها أصرت على أن تنام بين ابنها وزوجته هذه الليلة، حينها انمحى من عقلى ما مضى كاملا وبقيت متمسكا بهذا الخبر الطريف آملا أن أصل إلى تفسير. لم يكن أحد يعلم – حسب ما أظن - بهذه المعلومة سوى صديقى هذا ؛ إذ لم أسمعها من أحد غيره. ثم سكت مدة طويلة وأنا متأكد أن حديثه سيكون عن شىء آخر تماما كعادته معى بهذه الأخبار عن عائلة "عمر"، وقال إن "سيد" ابن عمر هذا ولد خفيف الظل لا تمل الجلوس معه أبدا رغم صغره. وأنا أعرف أنه طالب عنده فى

مدرسة القرية الابتدائية التى يعمل بها، وقال إنه تعلق به كثيرا، تعجبت حينها من تعلقه هذا، وبدأت أربط بين أخباره المتناثرة السابقة عنهم وبين هذا التعلق ، كما استغربت أيضا أنه لأول مرة يزايد على الكلام عنهم فى وقت واحد، ويضيف لى خبرين فى وقت واحد، وبينما أنا أفكر وشارد قليلا قال لى وكانه مقبل على الموت بقوله هذا إنه سوف يذهب لسيد ويعطيه درسا خصوصيا فى بيتهم، باركت له السعى فى ذلك، على أمل أن أظفر بالمزيد من المعلومات عن هذه العائلة، وبداخلى شىء يحتم على أن أعتبر لصديقى دورا فى هذه الأحداث الغامضة، حينها شعرت بقربى من هذه العائلة الغامضة، وتضارب إحساسى بين تقزز ونفور وبين فخر واعتزاز.

ضربت موعدا بينى وبين صديقى هذا فى عصر اليوم الأول لدروس "سيد"، وتعللت لصديقى بأنى أحتاجه فى أمر فى غاية الأهمية ، ولم يكن ثمة شىء. وجلست على حافة بحر يوسف على رقعة من النجيلة تضربها الشمس طوال اليوم، وبقرب نخلة نجلس تحتها دوما فى الصيف، منتظرا إياه والشوق لأن أعرف شيئا جديدا يملئنى. انتظرته حتى ظننت أنه أخلف وعده، ثم طال انتظارى حتى تيقنت من أنه بالفعل أخلف وعده، واضطررت للعودة إلى البيت لشدة البرودة، وأصبح صوت أسنانى المصطكة يؤكد لى إهدار صديقى للموعد الذى كان بيننا، وعندما دخلت البيت وبدأت أحس باطمئنان الدفء أتانى صوت أخى الصغير يخبرنى بأن شجارا داميا استمر بين صديقى و"جمعة" البقال قرابة الساعتين وأدمى كل منهما الآخر، ثم جذبنى بحجة أنه سيخبرنى سرّا إلى حجرته وقال لى لقد عيّر "جمعة" البقال صلاح

صديق عمرك وزوجة "عمر" أثناء االشجار وقذفهما، فانصرفت من أمامه فى محاولة لأن احتفظ بشىء من مهابة الأخ الأكبر، ومغتبطا بمعرفتى أخيرا نسب "سيد" الصحيح.

أصداء العفن (الصدى الثانى)

التقيت بها فى إحدى محطات المترو، لكننى لم أستطع تبين أى محطات المترو هي ؟ ولما كان الظلام مسيطرا على المكان، ظننت أنى التقيت بها فى واحدة من حوارى السيدة عائشة المظلمة التى أمر بها دوما بعد الواحدة بعد منتصف الليل أثناء عودتى من مركز الانترنت الذى أحصل منه على الأفلام التى تشعرنى بتأنيب الضمير بقدر ما تمدنى به من الإحساس بالتملُّك. لمع ضوء مجهول إثر انكساره على قضيب القطار، فتحول نظرى عنها باحثا

عن مصدر الضوء... خطر لى أننى عندما ألتفت إليها لن أراها،فتحولت إليها سريعا وعندما وجدت عينيها - كما هما – غارقتين فى شخوصهما إلى شىء لا أراه اطمأننت، ولم أعجب كثيرا من صمتها، ومسكت يدها واتجهت إلى المقاعد الرخامية وجلسنا.. حاولت أن أشغل نفسى بشىء آخر غير التفكير فيما تريد قوله... أو ربما عيناى هما اللتان تعرفان طريقهما إلى جسدها الذى لم أستطع الجلوس معها دون أن أدقق فيه، وجذب انتباهى انبعاج أرردافها المنحشرة بين جسدها والمقعد وبين بنطالها الضيق، ولما علمتْ أننى مازلت أنا الذى عرفتْه من قبل،؛ المحب لتأمل جسدها وأحيانا يروق لى النظر فى عينيها لمدة طويلة، حينها بدأت شفتاها تتراخيان عن احتضانهما لبعض فعرفت أنها استدعتنى لتخبرنى بشىء خطير ... حاولت أن أجتهد فى تخمين هذا الشىء ، ولكن عينيها كانتا أقوى من أن تدع لى مجالا للتفكير والاستنتاج ... بعد انتظار ليس طويلا رأيت أسنانها التى كنت قد مللت تأمل بياضها أثناء ثرثرتها معى فى اللقاءات السابقة، ولكنى هذه المرة مترقب لكلماتها.

أثناء صعودى درج محطة المترو لأخرج منها كنت قد نسيت تماما ملامح وجهها، والغريب فى الأمر أننى لم أحاول تذكرها .. ربما لأنى كرهتها ولم أعد أطيق رؤيتها.. وربما لأنى واثق من عدم احتياجى لمعرفة ملامحها؛ فلن أقابلها ثانية فى زحام شارع رمسيس أو تحت كوبرى السيدة عائشة أو أمام حديقة الحيوان يوم الجمعة بين العصر والمغرب. لم أعد أتذكر منها شيئا سوى مقولتها التى لا أعرف مدلولها جيدا رغم عدم تقبلى لها .لا أعرف هل كرهتها لأنى اكتشفت

عدم حيائها؟ أم أنى كرهتها لأنها قررت ألا نلتقى ثانية ؟ .. لم أشأ أن أفكر فى الأمر كثير فقد كرهتها وحسب. وظلت مقولتها: بأنها عندما أخبرتها بحبى لها كانت تظن أن الرجل الذى يبوح لأى فتاة بحبه لابد وأنه يملك المكان الذى يجعلها فيه أسفله- ترن فى أذنى. يبدو أن هذه المقولة تحرك فى نفسى ما تعجز أشياء عن تحريكه؛ فظللت طول فترة صعودى الدرج أرددها بينى وبين نفسى، وتوقفت لسبب ما عن ترديد الجملة وبدأت أتخيل كيف يجعلها أسفله وماذا تقصد بذلك؟ فتذكرت أفلامى التى بدأت أحصل عليها مؤخرا من الانترنت وتذكرت أكوام الأسطوانات التى رأيتها يوما فى درج مكتب صديقى حسن الذى أخبرنى بأن هذا عالم قائم بذاته استطاع أن يجعله يجاوز الثلاثين وهو مازال يحس أنه طالب بالثانوية العامة، وسألت نفسى على استحياء قائلا: إذا كنت أنا قد تعرفت عليها وأحببتها وأنا أعرف أنها فى النهاية أنثى مثل أولئك اللاتى أراهن فى هذه الأفلام، وقد كنت عازما على إنتاج عمل كهذا من تمثيلنا نحن الاثنين وتأليفى وإخراجى أنا، وكثيرا ما أجريت بروفاته بخيالى. إن كان الأمر كذلك فلما صدمت بكلمتها؟ ولما أحسست أنها فتاة أخرى أراها لأول مرة؟

عندما وضعت قدمى على آخر درجات سلم المترو كنت قد نسيت الأمر وبدأت أفكر فى أنوار المحلات والسيارات ، وعندما دققت النظر تأكدت من اتساع ساحة الميدان أن هذه المحطة هى محطة مترو رمسيس . تجاوزت المحطة ناحية مستشفى الهلال إلى كوبرى "أبو العلا" وقررت أن أدخل سينما "على بابا" حتى أتخلص من الأمر تماما، وأثناء سيرى فى الشارع تحت الكوبرى لاحظت أن هناك رجلا

ينادى على لأشترى مما يبيع مرغبا إياى فى حسن بيعه. كنت متيقنا من كونه يبيع ملابس وكالة البلح التى أكره مجرد النظر إليها، فلم أنظر إليه متجاهلا نداءاته المتكررة، وكأنه لا يرى فى السوق كله مشتريا غيرى، وعندما قررت أن أسرع خطاى لأتخلص من صوته، وجدته قد تعلق فى ذراعى وجذبنى إليه فرأيت ملامحه عن قرب فلفت انتباهى كونه ذا لحية كثيفة متلاحمة مع شاربه المخضب... خطر ببالى أن أسأله لما أنت مخضب شاربك دون لحيتك، وعندها صعد نظرى تلقائيا ليصطدم بعمامته، وعندما خطر ببالى أن أسأله عن كونه معمما شعرت بضرورة جذب ساعدى من قبضته وأهم هربا، ولكن شيئا خفيا جلعنى أنسى الهرب، ودفعنى لتفحصه كاملا. يبدو أن ثيابه القديمة لم تخفنى بقدر ما أعجبتنى؛ فأطلت النظر إليها نسبيا. عند هذا الحد كنت قد ألفته.. ربما اعتقدت أنه كمبرس أو ممثل وثمة من يقومون بتصوير عمل سينمائي تاريخى، فطمعت أن أكون واحدا منهم بعدما رأوا أننى كفءا .. وعندما نظرت حولى وجدت من أمثاله فى الملبس والهيئة كثير فكدت أتيقن من الأمر، عندها بدأت أنظر لملابسى، فتيقنت أيضا من كونى أرتدى القميص والبنطلون القذرين الذين ألبسهما فى معصرة القصب التى أعمل بها، وهما من أبغض ملابسى لكونهما من بقايا ما لبست أثناء دراستى، ولطالما ذكَّرانى بها وبأيامها. تعجبت من كونى أرتديهما، ونسيت تماما لقاء محطة المترو، وكأنى جئت إلى هنا لأعمل. تيقنت حينئذ من خطأ اعتقادى فى كونه مكان تصوير، فبدأت أبحث عن الكاميرات والمخرج القابع خلفها، ولكنى لم أجد شيئا...كل هذا والرجل القابض على

ساعدى يتكلم بكلام لا أسمعه... لم أر بدا بعد كل هذا من الاستماع إلى ما يقول، وبدأت فى ترك ساعدى له يجره ورآه وأنا مشتبك به ، وبعد خطوات قليلة وصلنا إلى محل به كثير من الفتيات، وليس به أى بضاعة مما أعرف لتباع، فظننت أن هذا الرجل يسخر بى ، والأمر كله لا يجاوز كونه مزحة سخيفة من هذا الرجل عجيب الهيئة، فسألته عن بضاعته التى يبيعها ومن أجلها أتى بى إلى هذا المكان. فبدأ يشير إلى الفتيات ويقول لى اختر إحداهن ولن نختلف على السعر، اختلطت الأمور فى ذهنى بين كون هذا كله تمثيلا وبين كونه مزحة وبين كونه أشياء أخرى لا أعلمها؛ فأصررت على أن ألهِّى نفسى عن كل هذا بمطالعة هذهِ الفتيات وتقييمهن والمقارنة بينهن، فوجئت بكون مَن هنَّ فى الخلف أطول قليلا ممن فى الأمام وعلمت أنهن واقفات فى صفين بعرض المحل على مدرج خشب من درجتين، وعندما جلت بنظرى بين وجوههن شعرت بالحسرة لكونهن من النوع المتوسط الذى لا أنجذب إليه، فالتفت للرجل لأخبره برأيى هذا، وقبل أن أنطق بشىء، وجدته ممسكا بمعصم فتاة فى زى السابقات ولكنها تفوقهن بمراحل فى جمالها، وقدمها لى فجعلها بينى وبينه بعدما بدا وكأنه قد استخرجها من ظهره كما يفعل السحرة، وقبل أن أبدى إعجابى بها له أو أتفوه بشىء قال لى: لن تنفعكِ سوى هذه فهِيِ وإن لم تكن تحفظ شيئا من الشِّعر فهى ذات شَعْر ينسيك أمك التى ولدتك، فتطلعت معه إلى شعرها بعدما أدار ظهرها ناحيتى، وطأطأت برأسى مؤكدا على صدق قوله دون وعى، ولما آنس منى متابعة لعرضه، أكمل قائلا: وإن لم تكن تحفظ شيئا من

الكتاب، ففى عينيها قد تقرأ ما لن تقرأه فى كتب الدنيا.. سألت نفسى حينها ما هذا الكتاب الذى قصده ولا تحفظ الفتاة منه شيئا وتعمد هو أن يحدد لى حالها معه، ولكنى لم أستطع فهم قصده ومعرفة الكتاب المقصود، فقلت فى نفسى لا بأس فأنا أصلا لم أعد أطيق مجرد رؤية الكتب، وتأملت عينيها وطأطأت برأسى .. ولما تأكد من انحناء رأسى فى طأطأتها بالقدر الذى يرضيه - وقد كان مراقبا جيدا لى – تلألأت فى عينيه ابتسامة مريبة ولكنها أشعرتنى بالألفة تجاهه وتناسيت تساؤلاتى حيالها، وأكمل هو قائلا: وهى وإن كانت لا تتكلم العربية فشفاهها تتكلم كل لغة للحب عرفها أو قد يعرفها الإنسان، ودارت هى بوجهها إلىَّ ملبسة شفاهها ابتسامة رأيت مثلها يوما سبق لا أذكره. ومازلت أحاول تذكره. وبعدما رأيت ابتسامتها فرحت بمجرد كونى استطعت أن أقيد هذا اليوم فى ذاكرتى حتى لا يتفلت منها،وطأطأت برأسى طأطأة تجلى فيها انبهارى بابتسامتها فبدت كالركوع أو تقرب منه كثيرا ، ولما تيقن من انبهارى أكمل قائلا: وهى إن كانت بلا عقيدة، فتيقن من أنك ستكون عقيدتها التى لن تكفر بها أبدا ، فنظرت إليها فرأيت ابتسامتها لم تفارقها بعد، فنسيت مقولته السابقة عنها، وطأطأت برأسى كالعادة بشكل روتينى حتى ظننت أننى ألعب وأهرج مع أحد أصدقائى، ثم قال الرجل بعد انقطاع عن القول لمدة قليلة : ومع ذلك فثمنها لن يعجزك، فهى بـ..... وذكر مبلغا لا أذكر مقداره أو نوع عملته، فوضعت يدى فى جيب بنطلونى القذر الذى لا أذكر أنى احتفظت بأى مال به يوما، ولا أدرى ما الذى دفعنى لأن أضع يدى به. يبدو أننى فوجئت عندما

وجدته مزدحما بكم كبير من العملة المعدنية، فأخذت منه ملء يدى لأخرجه للرجل، وعندما رأه تهلل وجهه وقلب عمامته ليعبئ بها النقود، فرأيت رأسه بلا شعر، وانزعجت لاجتماع رأسه الأصلع مع لحيته الكثيفة مع شاربه المخضب فى وقت واحد أمام عينيى، ولكنى أفرغت كفى فى العمامة ولم أعر الأمر اهتماما، وأشار هو لى بأن أتابع استخراج النقود وأخرج المزيد، فاستجبت له حتى لم يعد بجيبى شيء... يبدو أننى كنت متشوفا أثناء استخراجى للنقود لما سيحدث بعد ذلك فلم أعرف مقدار ما أعطيته ولو بعد الحفنات. وبعدما تيقن من أن جيبى أصبح فارغا تماما أعطانى معصمها ودعا لى بالمباركة، فأخذتها وانصرفت.

أثناء سيرى كنت أتمنى أن أتمكن من النظر إليها بشكل مستمر، ولكن السيارات التى ازدحمت بها الشوارع حالت دون ذلك، فخطر ببالى أن أتحدث إليها لأستأنس بها وأتيقن من كون صاحب المعصم الذى بقبضتى لها وليس لأختى الصغيرة، ولكنى تذكرت مقولة الرجل عن كونها لا تتكلم العربية فحزنت، وأصررت حينها على أن أنظر إليها نظرة طويلة لأذوب القلق الذى يكتنفنى، والتفت إليها ورأيت عينيها وابتسامتها التى أحببتها، فبدت وكأنها لن تفارق وجهها مطلقا، فابتسمت فبدوت لنفسى أحاول تقليدها ولما تحولت عنها مرغما إلى الطريق كنت قد أوشكت أن أهلكها ونفسى أمام أتوبيس... أردت أن أسألها إن كانت تفضل أن نركب سيارة أم تفضل أن نتمشى قليلا، ولكنى لم أجد السبيل إلى ذلك فقررت أن أكون دكتاتورا بقية حياتى، وركبنا ميكروباص إلى السيدة عائشة وجلست معها فى الكرسى

الأخير، واكتمل الميكروباص وجلس شاب معنا فى الكرسى فأصبحت هى بينى وبينه ، فعرفت أن الفرحة أنستنى أن أجعلها هى فى جانب الكرسى وأكون أنا بينها وبين الشاب، وطمأنت نفسى بأن ذلك من الممكن أن يصبح تقليدا جديدا، وربما يكون هو كذلك بالفعل وأنا لا أدرى، كما أن تجارة الرقيق قد عادت وأنا لا أعرف أيضا، وبعد دقائق كان واجبا على أن أخرج الأجرة، لاسيما وأن الشاب الذى يجاورنا قد أخرج نقودا ليدفع الأجرة، وأعطيت للرجل الذى بالكرسى المتقدم لنا أجرتى وأجرتها ليوصلها للسائق، وعزمت بعدها على التفرغ لمراقبة انطباعاتها حيال كل شىء وانطباع الشاب حيالها، فلم أر منها سوى ابتسامتها التى عهدتها عنها، حتى ظننتها شيئا سبق وأن اشترطته فيها أثناء الشراء، ولم أر من الشاب شيئا يجذب الاهتمام مطلقا، وقطع مراقبتى صوت السائق ينادى أن ثمة مَن له باق أو دفع أجرتين بالخطأ، واندهشت لإصراره على إعادة النقود الزائدة لصاحبها، حتى أوقف السيارة وبدأ يسأل كل راكب كم دفع حتى وصل إلىَّ وكنت بجوار الشباك فسألنى، فأجبت: دفعت اثنين مشيرا إلى نفسى وإليها، وعندما نظرت إليها وأنا أشير وجدت ابتسامتها قد استبدلت بنظرة اندهاش، فعلمت أن ثمة شيئا لا أعرفه، وسأل الشاب المجاور لنا سؤاله المعهود فأجاب بنفس إجابتى مشيرا إلى نفسه وإليها، فشاركنى السائق تعجبا، ولكنه من نوع مختلف، وقبل أن أنطق بشىء أردت أن أقوله لهذا الشاب ألقى علىَّ السائق الأجرة الزائدة وعاد إلى مكانه وقد تناثر من فمه ما لا حصر له من الشتائم والاتهامات بالغباء والحمق.

فى محطة السيدة عائشة نزلت وقد أمسكت بمعصمها، وبعد أن نزلنا وبعد خطوتين علمت أن الشاب قد اقتسم معى معصميها وأمسك بالآخر، نظرت له نظرة استعجاب دون أن أقول شيئا... يبدو أننى لم أكن أعرف ما يجب قوله، ولم أعد أعرف إن كانت من حقى ؛فأدافع عنها، أم أنها ليست؛ فيتحتم على أن أترك معصمها الذى تعرَّق فى يدى. لم يكن أمامى سوى أن أجذبها فى صمت، ففعلت دون تردد، وأجاب على بجذبة كدنا أن نقع فيها نحن الثلاثة على الأرض، وبعد شد وجذب ليس بالقليل بينى وبينه، وهى لا حول ولا قوة لها، التفتُّ حولى وكأنى أبحث عن شىء أتمسك به أثناء جذبى لها من يديه بعدما أمسك كل منا فيها بكلتا يديه، وجدت الناس من حولنا قد أصبحوا فى حلقة محكمة وكأنهم يشاهدون مصارعة الديكة التى سمعت عنها ولم أرها مطلقا... ابتسم لى أحد المتفرجين؛ فمددت إحدى يدىّ أمسك به، ناويا الاستعانة به فى الجذب، ولكن فجأة جذبها هو ناحيته فأفلتتها يدى، فوقفت أنا أنظر إليه وعيناى مملوءتان حسرة وخيبة، وكأنى أريد أن أذكره بما دفعت فيها ، وربما أستعطفه، ولكنه ظل جامدا فى نظراته إلى وكأنه يهددنى إن لم أبتعد عنه وأتركها له.فقررت أن أهجم عليه بكل ما أوتيت من قوة، وفى لحظة ربما كنت أفكر فيها فى كيفية الهجوم عليه دخل الحلقة رجل تظهر عليه مهابة فتوة أو شيخ حارة على الأقل واقترب منه؛ فحقدت عليه لذلك أكثر من حقدى عليه لكونه استطاع أن ينتزعها من يدى، وظننت أنه تقدم منه ليهنئه لانتصاره علىَّ؛ فكدت أبكى، ولكن الرجل تكلم معه كلمات لم أتبينها، وطأطأ من هم بقربه موافقة على كلامه؛ فازددت

غيظا لعدم استطاعتى سماع ما قال، ونظر إلى الشاب نظرة محايدة حاولت من خلالها أن أستنبط ما قاله له الرجل ذو الهيبة، ولكنى لم أفلح، أخرج بعدها الشاب من جيبه ورقة مطبَّقة وفتحها وقدمها للرجل وكأنه يشهر فى وجهه سيفا، فأخذها الرجل ونظر فيها، ولم ينتظر كثيرا حتى توجه إلى يواسينى ويطالبنى بالتزام الأدب و المضى إلى حيث أريد.
وبدأت أرى نظرات الناس إليها وهى فى يد الشاب، وتيقنت أن الناس عندما رآوها من قبل فى يدى كانوا يحقدون على، وكثير منهم دعا الله أن أفقدها، وأثناء انسحابى من الزحام منهزما سمعت صوتا بعيدا يلمح بغبائى عندما اشتريت شيئا ولم آخذ عقد بيع به، وصوتا آخر – كأن صاحبه يشير إلىَّ- يؤكد أن كل هذا ما هو إلا حيلة محكمة تمت بين بائع نصّاب وهذا الشاب ، والضحية هذا المغفل.
عندما استيقظت من النوم تيقنت من أنه لا حق من كل هذا سوى الاسطوانات التى سأشاهدها بعد الأفطار على الأكثر، وربما واحدة أخرى قد أتعرف عليها لأستعوض فراق فتاة المترو التى لم أتعرف عليها أصلا. وودت لو أعرف تفسير هذا الحلم ولكن كونى هزمت فيه سيجعلنى أخجل من أن أحكيه لأحد.

أصداء العفن (الصدى الأكبر)

سماء رائقة كملامح مستقبله ... يحاول أن يستقرأ خطوتين أمامه من هذا المستقبل ، فتستعصى عليه السطور وتنبهم الكلمات ... لا تتجاوز معرفته نهاية طريق قريته التى خرج منها مطرودًا بلا سبب واضح ... ينبش فى سطور الماضى ،ربما يبرّر هذا الخروج المفاجئ .. يتطلع إلى النخل المرابط على جانبى الطريق؛ لعل أحدها تنشق عمن يمسك بجلبابه ويمنعه من الخروج ويعرض عليه أن يبيت هذه الليلة بين أبنائه ... كلّت عيناه من التطلع إلى هذا النخل الذى اتفق على تجاهله ... لطالما عاش يحب النخيل ، ولكن الله قدر أن يكشف حقيقته هذه الليلة ...يتذكر لا إراديا ودون رغبة ذلك اليوم الذى صعد فيه النخلة الصعيدى – كما تسميها عائلته – وعندما صعد إلى منتصفها رأى ابن عمه المنكب على فريسة مجهولة المعالم ، فأكمل الصعود مسرعا ليتمكن من رؤية تلك الشقية ، آملا أن يستفيد من ذلك فى وقتٍ آخر . وما إن رآها حتى كادت قدماه أن تنزلقا ويهوى على الأرض ويفضح أمره ، بيد أن

صرخات الضحية فى مكانها تستنفد طاقته.... لم يكن يخمّن ذات يوم أن يصل الأمر بين رجل وزوجته إلى هذا الحد ! فكيف به عندما يرى أخا يفعل بأخته ما يفعله "عبد الحميد" ابن عمه ... ارتجف جسده وكأن النخلة تهتز به وأحس بالبول الدافئ يروى جلبابه القطنى ، فتتلاشى أتربته وأوساخه، وتهرب من عينيه ... يتذكر أسئلته الساذجة لنفسه بعدها فيبتسم ،فيحس وكأن الطريق قد أضاءته سبائط البلح الذى لم يستو بعد على جانبى الطريق ....لديه رغبة فى أن يطمئن نفسه ولو ببعض الأكاذيب ، فلكم هى ساذجة تصدق أى شىء.

بعد قليل سيصل إلى قنطرة المشروعة البحرية، وعندها يمكنه أن يستريح بعض الوقت ويفكر فى أمره ، فلربما كشفت نجوم السماء الصافية بعض معالم الطريق ... فى روتينية ينقّل ملابسه بين يمناه ويسراه حتى ملّتا ، وفكر فى التخلص منها ليريح نفسه أو يودعها مياه المشروعة المسافرة فى اتجاهه بلا هدف مثله. تنهال عليه الأسئلة كسهام من نار ولا جواب عن أحدها يسكن رأسه ... جفاف حلقه يصارع الأسئلة وينتصر عليها ... يفكر فى أن يهبط إلى مياه المشروعة ويشرب لعامٍ قادم ... ولكنه يتراجع عن الفكرة لتذكره بقرة "خلف أبو هلال " الراقدة جثة هامدة بحرى القرية ، لتغذى مياه المشروعة بلحومها المهترئة بأنياب كلاب القرية ... صورة أرداف "خيرية "ابنة عمه حسين تراوض عقله ... يتخيلها وهى تودعه ظهرها ؛ ليقوم بدور أخيها"عبد الحميد"الذى صنع منها مدمنة لا تأنف من السجود عارية أمام التيس العجوز حتى

ملّت من طول الانتظار، ثم جاء هو وملأ موضع التيس الفارغ .
قرّر فى سرعة أن يبيت فى خصّ عائلة"منشاوى" وفى الصباح يسافر إلى القاهرة قبل أن يراه أحد . بيد أنه كان فى حاجة للنوم فلم يترك نفسه للخيالات واختصر الطريق إلى الخص، وافترش فى صومعة التبن مكانا له وأسلم جفنيه للنوم.
كأن فأرين اتخذا من وجهه ساحة لشجار طويل بينهما ، وما إن استيقظ وفتح عينيه حتى رأى فأرا كبيرا ينظر أليه وكأنه يستفسر عن سبب مبيته فى هذا المكان ... حاول أن يجد شيئا يقذفه به فلم يجد فانتفض قائما ليفزعه فاختفى عن بصره . علّق بصره فى صفحة السماء الخالية لتسلمه إلى مجهول أبدى يتحدى ساكنى ظلها.

٢

أحس وهو يضع قدمه فى محطة القطار وكأنه مسافر إلى القاهرة كعادته كل شهر أو شهرين للكلية ، ولكن ثمة بعض الفروق التى تفرض نفسها بقوة، وتحتم عليه أن يفكر فيما هو آت ؛ فجيبه لا يحوى مليما واحدا .. ووراءه أحداث غامضة صنعت منه طريدا . وجلس فى منتصف أحد المقاعد ، وكأنه ينوى ترتيب خطواته ، ولكنه ظل يحملق فى حذائه بلا غاية ولا سبب واضح. ... فكر كيف يخدع كمسرى القطار ... ووجد الأمر هينا لا يستحق التفكير ، لديه عشرات الطرق ، آخرها أن يسطح فوق القطار وينتهى الأمر .

اللعبة المفضلة لديه هى تخمين ملامح المستقبل كيف يمكن أن تكون وسيسأل نفسه مرّات وهو جالس على استراحة المحطة وهو أيضا فى القطار لكى يسلّى طريقه ، هل بأمكانى أن أصبر على فراق مراتع الصبا ، ومجالس الأهل؟ هل يستطيع أن يفارق القرية ، وينسى العوم فى ترعتها فى ساعات القيظ ، ومطاردة الأوز الجائع الذى كان يظن دائما أنه يلهى نفسه عن الجوع بالاستحمام ولانشغال باللعب وظن أن الأوز يمارس اللعبة التى يمارسها هو وزميله "صابر أبو عبد الجليل"كعضو رئيس وغيره من زملاء ورفقاء الطريق ، وكيف له أن ينفلت فجأة من أسر صواحب الخلاخيل والجلباب الضيق فى منطقة الخصر والقصير قليلا ليظهر من تحته ذلك البنطال القماش الآسر ذو الشريط من لون مختلف فى أسفله عند معصم الساق ، لاسيما وأن عشقه لهن كان يزداد كلّما كلّم "سمية" وهى ذاهبة لتورّق أعواد الذرة لتطعم بقرتى عمّها، وخصوصا بعد أن انطلت عليها خديعته بأنه يحبها وسيتزوجها. فكيف فجأة سيستطيع أن يتخلى عن تسترهما بالذرة... ساكن بلا سكون .. فى أوقات الظهيرة وتبركه بتحسُّس مطاط سروالها الساذج ، ويتأمل أثره فى خصرها ... يا له من عالم غريب.عالم القرية متحرك بلا حركة ... يضجّ بالدفء الذى يهواه ... يرغمه على مطاوعة ابنة عمه ويسعد بذلك رغم كرهه لأبيها وأمّها ، وسيرغمه على مطاوعة زوجة " إبراهيم أبو خضرة " جارهم فى البيت بعد ما اطلع على سرّها مع غيره ، وسيذهب إليها

فى دارها وينعم بالسرير الغالى الذى اشتراه لها زوجها عقب إحدى سفرياته،ويستعمل تلك المناشف المزركشة بالخيوط الخضراء والصفراء .. ويجعل من أمرها سرًّا لأنها فى مقام أمه وتشبه خالته التى يحبها كثيرا ، وتمنى أن لو استطاع الهروب معها مثل عشاق القرية الفارين ، وتدرج أسماؤهم فى سجلات وحكايات القرية العامرة ، فبها يرى باستمرار أن الله قد منّ عليه بمن تهرب معه داخل القرية لا خارجها . الآن ليس بإمكانه أن يطمع فى السباحة فى بحر يوسف المحجِّم للقرية من ناحية الغرب ، والمتصدى دائما لمحاولاتها التوسعية فى هذا الاتجاه ، دون أن يكون حائلا دون رغبة أبنائها فى التوسع والتطلُّع إلى ما وراءه ... حتى الصغار منهم لا محجّم لهم ... حتى النساء منهن من استطاعت أن تجيد العوم ، ولم تتنازل عن حقّها فى أن يغمر ماء النهر الصغير أعضاءها ويقبذل جسدَها الصارخ ثوبُها المبتل بريق النهر الدافئ بعدما ملّ من حرارة الشمش المعودة على صفحته ... كثيرات أولئك اللاتى طاردهن فى الماء ، وحسر مثل مياه النهر الدافئة أثوابهن المتلة عن أجسادهن المضطرمة بنار الرغبة ونار الشمس المحرقة . وسيذكر بالطبع تلك المرة التى كان يغوص فيها تحت الماء - وقد كان أكثر من هوى الغطس تحت الماء - وعندما قبّ اصطدم بالزنجية المسترخية على صفحة النهر اللينة ، فظنَّ أنها جثة قتيل ، فشق طريقه بعيدًا عنها مغمورا برعبٍ رطب ، لم يزُل إلا عندما نظر إليها فتأكد من تلألأ أسنانها تحت أشعة الشمس ، ووجهها الغارق فى

سمرته يعجز عن الإفصاح بسهولة وبغير لبس عن ابتسامته ... مازال الخوف من جثث الموتى يقطن أعماقه كحبّه لطيبة قلب أبيه ، وإعجابه بتدبير أمه وذكائها .. بيد أن النهر الصغير المحمل بالجثث ليودعها أيدى المجهول هو فقط الذى رسّخ هذا الخوف لديه ... دائما يسأل نفسه إن كانت ثمة علاقة بين ما يحمل النهر من جثث وبين ما ينام فى صدور القرية من الأساطير وحكايات الجان الذى يسكن تحت أحجار الجرف مثل أسماك "الرعاش" و"الدقمال" كما سمعها من أبناء القرية ممن هووا وحادوا عن الزراعة ومشاقها ... قبل أن يعرف أهمية هذا النهر الصغير الكبرى وقبل أول مرة تُبل فيها قدمه بمائه مصادقا لطينة أرض أبيه فى أول مرة يعتمد عليه فى ريّ القطن – قبل كل هذا كان يظن أنّ هذا النهر الصغير الذى يسمونه بحر يوسف هو أداة عقاب لهم من الله ، سلّط عليهم ليختطف منهم كل عام نفس لأو نفسين ، وسيقضى عليهم نهائيا يوما ما بما فيهم هو نفسه ، لقاء تلك المخادع التى كان يظن أن لا أحد يعلمها سواه هو وصديقه "إسماعيل أبو عبد السلام " الذى كان أول من نبّهه لعشق "جاد بن حسن أبو حسين" وذهابه إليها كل ليلة مستغلا غياب زوجها فى الأردن ، وعندما اهتم هو بهذه القصة اكتشف أن شيخ الخفراء قد أوقع بالأم وابنتها أيضا ، فهرول إلى صديقه وأخبره بالأمر كيلا يكون صاحب فضل عليه؛ وليؤكد له قدرته على التنقيب والاكتشاف مثله. .. كم مرة وقف فى ذلك الدرب المظلم -الذى يقال عنه إنه أقدم

شوارع القرية – ولعن كل نساء هذه القرية ،ولعن نفسه ، ولعن إمام مسجد القرية الوحيد ،لماذا لا يخصص خطبة لهؤلاء النسوة .. أو يتكلم عن الزنى للجميع كما قرأت فى أحد كتب مكتبة المسجد الممزقة ، وسيظن بالطبع أن إمام المسجد هو من أوصى رجال القرية بذلك خصوصا " عاشور أبو حمدان " الذى يجاور الإمام فى البيت ، وسيظن بالطبع أن الإمام هو الذى رسم له الخطة التى يوقع بها امرأة "إبراهيم أبو خضرة " وجعله يقلد صوت زوجها ويدّعى أنه عاد من السفر – مستغلا قدرته على تقليد الأصوات ، وتنخدع هى بدورها وتفتح له الباب فيهجم عليها ضاغطا شفتيها بكفه ،وخصرها بساعد مفتولٍ قُدٍّ من وجهه الأسمر ، ليؤكد لها أنه من الليلة قد أصبح لها زوجا . ويقشعر بدنه عندما أتاه الخبر وهو بين أحضان قاهرة المعزّ بأن " محروس بن إبراهيم أبو خضرة " وضع لأمه السم فى الطعام ، ويعزم على أن يغرق " محروس " فى مياه النهر وفاءً لما لأمه عليه من فضل ، ووفاءً لرقدته على سريرها الغالى الذى كان ظن كثيرا أن بيت العمدة يخلو من مثله ،ووفاء لمناشفها المزركشة التى نعم جسلدة بنعومة ملمسها ، ولجبينها اللامع كإحدى النجمات اللآتى كان يراهنّ فى التلفاز وأصبح يراهن فى سينماءات القاهرة .... رحم الله زوجة" إبراهيم أبو خضرة " وغفر لها استمراءها أحضان الر جال خصوصا بعد زيارة " عاشور أبو حمدان " الأولى لها ، ورحم أيضا ابنة خالتها "مبروكة" التى يعدونها من أجمل نساء القرية ، كانت ذات وجه

مستطيل شديد البياض ، عيناها واسعتان كبحيرتين تغمران بضفافهما أنفها الرقيق . بعض شباب القرية أشاد أمامه بأنفها ، وكثير منهم أشاد بعينيها ، وكثير أولئك الذين أشادوا بأردافها ومفاتن جسدها . حتى "صدّيق" الأجير الدائم لعائلة "مصباح" أشاد بكعبيها وتمنى لو شرب الماء يوما من من صحن كعبيها اللامعين . فى الحرم الجامعى استهان بعض الشىء باهتمام "مبروكة" بزينتها ، وكثيرا ما غلب على ظنه أن أنها ليست من أبناء الريف ، وإنما هى هاربة من الحضر إليه لتتربع على عرش الجمال فى قريته ، وليتسنى لها الإيقاع " بعبد الفتاح أبو سالم " الذى قيل إن كلّ امرأة فى القرية تتمنى أن تكون له أنثى . كثيرا ما فكر فى طريقة يستطيع من خلالها أن يتأكد من كون أمه ليست ككل نساء القرية فى حبهن"لعبد الفتاح أبو سالم". بيد أن "مبروكة " – كما قيل – قبل أن تصبح أكثر نساء القرية اقتناصا للرجال ، كانت هى ذاتها فريسة " لأحمدأبو نظيرة " شقيق زوجها المسافر إلى الأردن من الجيل الجديد ، الذى يعمل فى الخرسانة المسلحة أو"البطون "كما كانوا يتكلمون عنها دائما. تمنى كثيرا أن لو كان رجل القرية لا " عبد الفتاح أبو سالم" رغم أنه لايذكر أنه أحبه فى يوم من الأيام . فشاربه الكث والمُعانى دائما لأن يستوعب فتحة فمه- التى لا يذكر أنه رأى مثلها مطلقا ، لا فى القرية ، ولا فى قاهرة المعز – من الأشياء التى تجعله غير مألوف له ، وتجعل إئتلافهما شيئا مستحيلا .

نزل من القطار فأحس وكأنه قد وضع أمام

قائمة مليئة بالاختيارات التى لا شك أنه سيرتاح مع تطبيق أحدها ، الآن بإمكانه أن يتمتع بمزيد من الطمأنينة ،وعدم الانشغال بالمستقبل القريب . وبإمكانه أيضا أن يمارس هوايته المفضلة فى التطلع لكل ما قد يصدم عينيه فى شوارع القاهرة المكتظة بالمارة ورواد المحلات وحتى أولئك الذين قد ينظرون من النوافذ والبلاكونات ، فى غمار هذا الصخب فقط ينسى دفء القرية قليلا وتغيب عنه تلك الرائحة التى تشعره وكأنه يعيش دهره مدثرا بلحاف ثقيل ارتوى بعرقه وعرق إخوته وربما التحف به أحد أصدقاء أبيه فى ليلة شتوية بعدما أتى به أخوه الصغير بناءً على طلب أبيه ، وألقاه على قدمى هذا الصديق الجالس بجوار المنقد والمشمر ساعديه ليمص ما أتى به أبيه من قصب من السوق ويجلس هو يراقب الحديث بدقة عن بعد.كثرة المحلات على الجانبين تذكره "بأنيس" ذلك التاجر الذى جاء القرية دون أن يكون له بها أخ أو أخت أو ما دونهما من القرابات ، ولكن ما أكثر أصدقاؤه .. وسيسأل نفسه عما إذا كان أنيس قد اصطنعهم قبل مجيئه إلى القرية وكانوا سبب قدومه إليها ، أم أنهم أصبحوا له أصدقاء من خلال ابنته الجميلة ، ذلت الصدر البارز كجبل شامخ يعاند ظروفا شتى ، ولا يصل فى ذلك إلى نتيجة يطمئن لها قلبه .. فدائما ما يحار عندما يرغب أن يأخذ موقفا من رأى أهل القرية فى"أنيس " وما كانوا يعتقدون أنه من جملة أسراره ، فهم يعتقدون أنه ثرى جدا وأن المال لديه لا يستطيع حمار" جنيدى أبو إبراهيم أبو

إسماعيل" أن يحمله . رغم ما شاع من كونه أشدّ حمير القرية . لابد وأن كثيرات من النساء تمنين أن تكون زوجة "لأنيس" التاجر المجهول الأصل ، وكثيرات أولئك اللآتى تمنين أن تصبحن زوجات "لعبد الفتاح أبو سالم" وأكثر من هؤلاء وأولئك اللآتى تمنين أن يركبن حمار " جنيدى " لتسير رافعة الواحدةُ منهن رأسها زهوا وسط رجال القرية الجائعين ، ولكى تجد مبرِّرا لتظهر ساقيها اللتين ربما تضجان بشعر الإهمال الدقيق .. وتبرز وجنتيها اللتين لا شك أنهما قد ازدحمتا ببقع سوء التغذية ،ورغم هذا فسوف تجزم كل واحدة منهن وهى تمتطى ظهر حمار"جنيدى "أن كل من رجل يراها جائع إليها إلا زوجها ... عجيب ذلك الانقياد المزعوم من نساء القرية لرجالها ..الآن فقط بإمكانه أن يقرّر فى ثقة أن النساء- نساء قريته خصوصا- أشد ذكاءً من الرجال . فما من واحدة منهن تحرم نفسها من شىء لها رغبة فيه ، سواء أكان حلالا أم حراما ، فهن ظاهرا منقادات وحقيقةً مالكات لأمورهن على خير وجه . كل هذا يدور بخاطره فيبدو كمن يعرف أهل قريته لأول مرة .. تسعفه ذاكرته الحانقة على بلدته "بسميحة" زوجة الحاج " عطا أبو بحر" ذلك الرجل المسن بيّن القصر ، متهالك الجسد بفعل الزمن وحبّا لزوجته ...مازال يذكر كيف كانت تغريه أمام زوجها يوم أن ذهب إليهم بأمر أبيه ليعطيهم أجرة أحد فدادينه الكثيرة .. فزوجها بحسن نية يعزم عليه لأن يشرب معه كوب لبن ، فتتطوع هى وتخبره بأن لبن جموستهم ليس له مثيل فى البلدة كلها ، فهو

ينزل منها محلى طبيعيا ، مع نظرة إغراءٍ من عينيها المكحولتين اللتين ما رآهما أحد من القرية دون زينتهما حتى اشتهرت عند رجال ونساء القرية جميعا" بسميحة أم كحلة" .. فيجلس طمعا فى هذل اللبن الأسطورى ، واثقا فى قدرته على كشف كذبهم والتمييز بين السكر الطبيعى والصناعى وطمعا أيضا فى علاقة مضمونة مع "أم كحلة"، وتشق هى طريقها فى حنكة وذكاء نحو هدفها وتخبر زوجها المنهك فى آلام ضعفه ومرضه بأنها ستذهب إلى الغيط كعادتها آخذة بهائمهم لتفطرها ، وستعود سريعا لتعطيه حقه فى النظافة وأخذت تعد له الأيام من آخر مرة حمّمته فيها فتبدو وكأنها تتكلم مع أصغر أبنائها لا زوجها رغم أنه لا ولد لها .. ربما كانت تأخذ منه بديلا يعوضها افتقاد الولد. ويتذكر ما شاع عنها وعن علاقتها مع أخيها " صابر أبو عبد الستار" الذى يعمل فى الفاعل كما يقول أهل القرية عمن يعمل فى طائفة المعمار فى القاهرة ، وكيف أنه فرّ من القرية وكلامها إلى القاهرة بعدما كان قد اعتاد مساعدتهما فى أرض زوجها ورعاية بهائمه الكثيرة ... ولكنها بذكاءٍ شديد تخطط للاتقاء به هناك فى القاهرة ، بعدما أغرت زوجها بطبيب ماهرٍ ذائع الصيت ، قد يكون سببا لأن يهب الله له الولد .. رغم أنها واثقة من أنه صاحب العلة لا هى.يتوقع أن يكون مسكن "صابر أبو عبد الستار" فى تلك العمارة التى لمحها بطرف عينه فى أول عطفة يقف على فمها مجوعة من الناس يبدو أنهم خارجون لتوِّهم من معركة بين

بعض أصحاب المحلات.
أغلب بيوت القرية كان يغمرها ذلك الظل الرطب الذى تعاونت عليه رطوبة الطين اللبن وأسطح الجريد وجذوع النخيل .. يتمنى أن لو أغفى قليلا على مصطبة الحاجة "راقية" أم أمه التى لم ير مصطبة أكثر تنظيما ولا نظافة منها ، خصوصا بعد تعاون خالاته وقت الضحى على تنظيف حجرتها وترتيب هذه المصطبة الطينية العتيقة ، التى كان يستمتع بمتابعة كثير من النساء والشابات والأطفال وهن يزغردن ويطبلن ويرقصن قبل سفرياتها إلى بلاد الحجاز التى كان يظن فى صغره أنها بلغت عشرة حجّات متتاليات، واكتشف بعد ذلك أنها لم تحج سوى ثلاث مرّات فقط ، فيشعر بالندم على إصراره وهو يحكى لزملائه فى كتاب الشيخ"عوض الكفيف" على أن جدته قد حجت عشر مرات محاولا أن يأتى بأكبر رقم يمكن تصديقه ... لابد وأن كثيرا منهم الآن اكتشف كذبه ليجعل من أم أمه أكثر نساء القرية مالا وتقوى ، ربما لم يصرّ على هذه الأكذوبة إلا لينأى بأم أمه وابنتها الكبرى التى كانت له أمًّا عن نساء القرية الآتى سرد من أسرارهن الكثير ، سواء على لسانه أو على لسان رفيقه الذى كان يبدو كظله " إسماعيل أبو عبد السلام"، الذى يدّعى أنه كان شاهد عيان لكل حادثة تتناثرها الألسنه فى عالمهم . حتى اعتقد أن"إسماعيل" كان يصعد بالليل إلى القمر ويبيت فيه ، فيتمكن من رؤية كل شىء يحدث فى الظلام بدقة وزاد تصديقه للأمر عندما أخبره"إسماعيل"

بأنه يذهب كل ليلة لأبيه وأمه اللذين رحلا وتركاه لعمه فيتعشى عندهما من طعام الجنة ويشرب من شرابها ويشكى لهما زوجة عمه التى تمنعه من استخدام مناشف أبنائها بحجة أن هذه يعرضهم لأمراض معدية.

ألم فقد ذلك الظل الرطب مازال يسكن أعماقه ، وألم فقد مصطبة الحاجة"راقية "، أما فقدها هى فهو الشىء الوحيد الذى طالما أشعره بأنه قد أصيب بمرض لا براء منه ،كذاك الذى قتل "أحمد اللبّاد" فى شبابه عقب زواجه بأسابيع من "حسنية ابنة درويش الصايم" التى كان كثيرا ما يراها تملأ المياه من الحنفية العمومى وابتسامتها المغرورة لا تفارق ملامحها المشعة بصفرة فتبدو ككوب الحلبة الذى اعتادت عليه الحاجة" راقية" كل صباح . بكت القرية كلها عليه يوم وفاته، لا أدرى ما السبب... قالوا إنه لم ينم مدة ثلاثة أسابيع متواصلة منذ أن ظهرت عليه أعراض هذا المرض حتى أسكنوه ذلك الظلام الذى كان يلمحه من ثقوب أبواب المقابر القريبة من أرض خاله "محمد"التى كان كثيرا ما يذهب إليها مع إحدى خالاته.... الحاجة"راقية" وفقدها الذى كان الشىء الوحيد على زرع الإحساس باليتم فى قلبه دون أن يكون يتيما.... يتمنى أن لو تجرأ يوما على تحسس عروق يدها البارزة بخضرة برسيم ما قبل الرعى الأخير الداكن، لو تجرأ على تقبيلها، على الاحتفاظ بأثوابها المبللة بعد نزولها لجرف الترعة لتتمكن من غسل أثوابه المبللة ببوله الذى هرب به أحيانا من قسوة أمه إلى الكتاب ليزيد من تركيز

رائحة البول الجاف فى كتاب الشيخ "عوض الكفيف" ؛لأن كثيرا من رفقائه فى الكتاب لابد وأنهم هربوا مثله من عقاب أمهاتهم، مطمئنين لكونهم سيستطيعون التخلص منها بالعوم بجلبابهم فى مياه بحر يوسف الذى ربما يحسون نحوه بالصداقة ويعتبرونه مخلصا لهم – أحيانا – من عقاب أمهاتهم الذى لن يقل على أسوأ الأحوال عن أن يكون بعود قطن جاف، ليترك آثارا ربما تدوم على ظهره أسبوعا أو أكثر.. لكم أحس بالتميز دون كل أقرانه لأن رزق بالحاجة "راقية" التى ما كانت تدع الفرصة ليد لتطوله فى وجودها، مهما كان من يريد عقابه، صغيرا أو كبيرا، يراها طفلا يزب عن صديقه إذا ما أراده طفل بسوء، ويراها امرأة عاتية لا يطال حِماها إذا ما أرادته امرأة لتقتص منه لما ألحقه بأحد أبنائها. سيذكر بالطبع تلك المرة التى تعقبه فيها الشيخ " إمام" كبير عائلة أمه وابن عم زوج الجاجة " راقية" يريد أن يطوله بعصاه المعوجة ويكسر عظامه كما كان يلهج أثناء جريه ورائه، وذلك لرؤيته له وهو يخطف "قلة ماء" عجيبة المظهر، لم يكن قد رأى مثلها من قبل، من يد "سلوى" ابنة عبد العاطى أبو مرزوق أول من اشترى سيارة ميكروباص فى القرية، والذى كان مولعا بالتغيير فى أنواع السيارات المختلفة، وانتهى به الأمر بأن ورث هذا الداء أبناءه جميعا وصار الاتجار فى السيارات القديمة مهنة يعيشون منها بعدما مات أبوهم وأورثهم ديونا، جعلت خطيب سلوى أختهم يتراجع عن زواجه منها، فتشعل النار فى نفسها وتموت فى المستشفى وهى لم تكمل

السادسة عشر. خطف القلة من "سلوى "
وهرول بها دون تفكير فى مندرة الحاجة "راقية"
على يقين من قدرتها على الزب عنه ، وما إن
وضع قدمه داخل البيت حتى سمع صوت الشيخ
"إمام" ينادى عليه ببحته التى لم تفارقه حتى
موته بعد ذلك بعشرين عاما، بعدما أغرقه
بالدعوات لأن يوفقه الله فى تعليمه بنفس الصوت
الذى مازال يذكره وهو ينادى عليه وهو يجرى
وراءه داخل البيت؛ ليوقفه ليمكّن عصاه من النيل
منه، ثم يلقى بجسده فى حجر الحاجة "راقية"
التى تظن أن آتيا من الغيط ألقى بصيد ثمين فى
حجرها، وينظر هو إلى الشيخ "إمام" وبعينه
ابتسامة خبث مغيظة له وشامته لعدم قدرته
على مواجهة الحاجة "راقية"، وربما مفاخرة
بكونه ابن بنتها المدلل، وربما متعجبة لعدم قدرة
رجل مثل كبير عائلته على مواجهتها، فيظن أنها
تعرف عنه سرّا يخشى من أن تفشيه للناس
فيفقد مهابته بينهم، ويظل معتقدا فى ذلك إلى
أن يعرف أن هناك شيئا اسمه التقدير والاحترام
قد يكون بين بعض الناس وقد لا يوجد بين بعض.
عندما ذكر الحاجة "راقية" وذكر مصطبتها أقسم
أن يعود يوما ويبتنى واحدة على شاكلتها وينعم
بالنوم عليها لأطول مدة يستطيعها، حينها تذكر
من كان يعودون إلى القرية ليرقدوا هذه الرقدة
التى يحن إليها، ولكنها رقدة لا قيام بعدها لأنهم
حينها يكونون قد استغرقوا أيامهم بعيدا عن
رائحة بول أبنائهم ورائحة الأتربة المنبعثة من
طرقات القرية ومن تنظيف مصطبة طينية فى أحد
أركان بيت بالطوب اللبن، يحلوا للقطط القيلولة

فى ظله.... حينها ذكر تلك المصاطب الطينية المرتفعة قليلا عن مصطبة الحاجة "راقية" والتى تصطف إلى جوار بعضها على الجانب الشرقى لترعة القرية لتقابل البيوت فى الناحية الأخرى التى تهل منها الشمس كل يوم ماعدا أيام الشتاء التى تهجم فيها الشبورة على القرية وكأنها جيش عدو جاء للغزو حينها تيقن من عودته فارتاح وفكر فى تعب يومه وأنه لابد وأن يريح جسده بالمبيت فى مكان مريح.

فم جديد

السيارة النقل القديمة مازالت قادرة على بلوغ القرية الهاربة من العمران إلى الحقول لتختبئ بها...أنين صاجها أثناء السير يبشر بأنين السرير الذى يروقه الإنصات إلى مواويله التى يرويها للحقول المنصتة ليلا، والطريق مازالت كافرة غير معبدة تُجهد الجَمل قبل السيارة، كما هى منذ أن كانت تُسرق المواشى والأغنام من تحت أشجارها ولا يستطيع أحد أن يبلغ اللصوص مهما تذلل لها...ورائحة قمحه دون قمح الآخرين تصطدم بصدره الذى يظن أنه التل المنهوب.. لا يشك فى كونها أتت تستقبله.. يسألها عن السنابل؛ فلا تجيب بأكثر من التقبيل الذى يجعل بدنه يقشعر..طبق البليلة لن يغيب كثيرا فالحقول قد اصفرت، وأثره لن يعدم فى الجسد المنهك، فقد أخبره صديق له مغامرات قضت عليه أن البليلة تجلب الدفء وتنشِّط الملاعق فتضرب فى الأطباق بأقوى ما يمكن أن يتصور المرء. واثق هو الآن من عدم احتياجه للبليلة الليلة ليرغم السرير على رواية المواويل حتى الصباح، ومن قوة الملعقة التى ستطعم فم سعدية الجديد. ولكن بعد مدة قد يحتاج للبليلة... حينها سيكون القمح قد قفز من سنبله إلى الدار... ثمانون يوما يشوِّن الرمل والزلط والطوب والأسمنت، ترك فيها القمح يبكى الفراق ويشكى من سوء معاملة سعدية ولكنه قد عاد، لا ليحتضن السنابل والأعواد فى ذبحها واحتضارها وحسب ولكن ليقبِّل فم سعدية الجديد، الذى ما كان ليُكتشف دون يوم الدُّخلة... ظل يسميه بالجديد دون القديم لأنه كان دوما جديدا كالبوت

الذى لم يشتره من السوق حتى الآن وظل يتطلع إليه منذ أن كان صغيرا... يتصاعد أنين صاج السيارة إلى أذنه فيظن أنه يسامره ويؤكد له أن السرير سيئن حتى تدمع عيناه وكأنه مشفق على فم سعدية الجديد كعادته دوما. لاشك لديه فى أن فم سعدية الجديد قد بكى عليه أيضا أكثر من بكاء القمح، وحزن لسفره الذى طال حتى كاد يموت كالأرض التى تركت بلا زرع سنينا.

بعد إكثار من مطالعة الحقول نسى أنه سيرى- وهو فى مكانه جالس على الباب الخلفى للسيارة النقل- قمحه وسيحتضنه بعينيه؛ فلم يهيئ نفسه. بعد مدة قليلة وعلى مشارف القرية كان قمحه قد نام قتيلا لا حراك فيه إلا لأطرافه... رآه فظنّه ثوبا منسوجا من الأصفر والأخضر أو سجادة صلاة جلبها توًّا أحد الحجاج النصابين من تجار الغلال من الأراضى المقدسة وافترشها فى أرضه ليجمع عليها ما سيشتريه، دقّق النظر فتيقن أن الفقيد هو قمحه الذى أجهزت عليه الرياح بعد ريَّة خاطئة فى يوم عاصف... ملعقته التى ظلت محتفظة بصلابتها منذ خروجه من قاهرة المعز طمعا فى إطعام فم سعدية الجديد رِقدت هى الأخرى رقدة يظن أنها الأخيرة، ونسىَ فم سعدية الجديد، وتذكر أفواه أبنائه القديمة.

زهرة

إحساسها بغلظة ذراعه تذكرها بكلام أمها لها عن الفرق بين العريس الغنى والعريس الفقير، وتشعرها بالأمان لحين. الآن فى خضم هذا الصخب والفرحة التى يزدحم بهما المكان تشعر برغبة فى الوقوف أمام المرآة تتأمل ملامحها الرقيقة تحت الطرحة البيضاء، وتنظر لهيكلها النحيل وكتفيها المتقاربين وقد كساها ذلك الفستان الأبيض الذى كثيرا ما حُكِى لها عن الفرحة التى يحويها نسيجه. لكنما إحساس ثقيل يحول بين قلبها وبين وبين فرحة الفستا يكاد يذيب ضلوعها النحيلة. وثمة رغبة أكيدة فى الانفلات من ذراعه حيث الخلاء والصمت، وفى شجاعة تحاول أن تسد مصدر هذا الإحساس، ولكن إحساسها بجهل المصدر يشعرها بأنها ستموت بهذا الضيق ...

ابتسامات من حولها من البنات وسائر النساء تمهد لعداوة حادة بينها وبينهن، وصورة أمها القديمة فى ملابسها المنزلية غير تلك التى ترتديها الآن، وبوجهها ذى الملامح التى تدّعى الحكمة والاتزان غير تلك الملامح التى تراها الآن مكسية بكثير من أنواع الطلاء والفرحة هى الطاغية على خيالها.

تتساءل "زهرة" وهى سائرة فى زفّتها: لماذا لا يضع العريس يده فى قبضة ذراع العروس بدلا من أن

تسير هى مسحوبة خلفه كطفل صغير ، لماذا يتحتم عليها الآن أن تمارس دور الأضعف رغم أن إحساسها بالقوة مازال يملأ أركانها، وأين تلك الكلمات التى لم تمل أمها من تكرارها على مسامعها ليل نهار؛ تلك الكلمات التى ردعت بها من اعترض طريقها من الشباب.. الآن أصبح واجبا عليها أن تقتل كبرياها، ولأى شىء ذلك؟ فضلا عن أن ذلك الإحساس الثقيل بكونها قد باعت وأخذت الثمن يملأ صدرها ويشعرها بالاختناق .. بين الحين والآخر تقتبس نظرة من وجه عادل فتذوب فى بشرته البيضاء اللامعة التى قلما تعرف لها نظيرا بين صديقاتها وتسأل نفسها إن كان عادل يحس بأنه اشترى كما تحس هى بأنها باعت أم لا؟

عند خروجهم من باب قاعة الأفراح كان واجبا عليه أ يتقدم عليها قليلا ولو بنصف خطوة ليتسنى لهم الخروج، رغم اتساع الباب أو على الأقل عدم ضيقه... بيد أن ضخامته تنبئ بصعوبة ملازمته فى كثير من الأحيان، ويتصاعد إلى خيالها انهماكه فى الطعام عندما كانت أمها تقدم له أطباق الحلوى التى تجيد صنعها أثناء زياراته لهم أيام خطبتهما القليلة..لا تذكر لحظة تكرهه فيها مثلما تكرهه عندما تراه منكبا على الطعام، أو تراه يوارب كتفيه ليتسنى له الولوج والخروج من أحد أبواب بيت أبيها .. تتخيل كيف ستحيا حياتها كلها تراه أمامها هكذا .. وعندما تتوغل فى تخيل حياتهما معا كيف وف تكون تشعر بغثيان يفور من أسفلها ويجتاح أعلاها، ويكاد يسيطر عليه لولا ضجة الموسيقى وزغاريد بعض من يقتربن منها من أهل عادل اللآتى لم تر حتى الآن واحدة منهن أقل من المتوسط فى سمنتها.

بعد فترة ليست بالقصيرة أمكنها التنفس ملء رئتيها، فها هى تنفرد بنفسها كما كانت من قبل إن كان ذلك لن يدوم .. وقد غاب عنها عادل بجثته التى تشغل حيزا كبيرا من الفراغ حولها، غاب بعدما جذب فى عجلة "روبا" من أحد أبواب الدولاب الدمياطى الغامق الذى يناوئ سريرا من لونه يبدو متسعا إن نظرت له مفردا، ويبدو ضئيلا منكمشا إن نظرت له فى إطار من الحجرة المتسعة ذات الألوان الفاتحة والمعلنة عن بهجة لا تتفاعل معها.

أدارت بصرها بين أركان الحجرة المتسعة فى محاولة لاجتذاب الألفة والسكينة، وهى ما تزال جالسة على حافة السرير الذى تأكدت من شدة اتساعه وقعت عيناها على صورتها المعكوسة على مرآة "الكمودينو" ، نهضت إليها وكأنها آنست بشخص جديد فى الحجرة ووقفت تتأمل ملامحها، ولم يَحُلْ الطلاء الذى غمر ملامحها بين ألفتها لها فشعرت ببعض الطمأنينة والهدوء.. ولكن ثمة أشياء أخرى عالقة بعنقها وتتدلى من أذنيها تعكس أضواءً لمصابيح جديدة على الجدران ذات النقاشة المتقنة، وتفتت فى إصرار ما استقر فى قلبها من السكون.

لم يمهلها عادل لتتفحص ملامحها جيدا، كما لم يمهلها لمطالعة باقى مفردات الحجرة الجديدة التى ستكون فيها معيشتها، بل حجب بضخامته كثيرا من أركانها عن عينيها المجهدتين، وأغلق الباب دون أ يلتفت إليه،بعدما دخل ولم تلاحظ إن كان قد وارب كتفيه أم لا. وأنَّ البابُ أنينا موسيقيا أثنا غلقه فندت عن ملامحه المكورة ابتسامة تشعرها بالريبة والارتباك، ودون التوقف عند تعبيرات ملامحها هجم على مصباح الكهرباء شارعا فى الضغط عليه، ولكنه

توقف فجأة وقال:
- أوصانى أبى أن أطفئ الضوء قبل.... النوم..
قال كلمة النوم وقد ماجت ملامح وجهه الربرابة بفعل ابتسامة بلهاء ، ولما آنس منها صمتا ضغط على المفتاح وهو مفعم بالثقة فى صحة أفعاله.
أحست زهرة ارتياحا لمغيبه عن بصرها بمغيب الضوء، وتراءت لها صورة أمها مع أبيها فى حجرة نومهما يعدّان أنفسها لاستقبال ليل حميم، تمنت أن لو يغيب عنها دائما ولكنه لم يمهلها لخيالاتها تتجاذب ما يتاح لها منها؛ فجاء صوته عابرا طريقه فى الظلمة إلى أذنها فى ثقل وكأنه محمل بقطع حجرية ضخمة قائل:
- بالمناسبة... هل تحبين الظلمة؟
- نعم، الآن أصبحت أعشقها.
- إذن ما رأيك أشعل السهارى أم لا؟
انتبهت لوقع سؤاله أنها مازالت بملابسها، فأجابت فى سرعة
-لا تشعل أى ضوء فأنا مازلت بملابسى
بدا صمته وسكونه إجابة وإذعانا صريحين لأمرها، وشعرت بالارتياح لاستردادها بعضا من حزمها، وبدأ يتراءى لها شبحه بعدما اعتادت عيناها على الظلام؛ فأطالت النظر نحوه وكأنها تطالع كائنا غريبا، ولما شعرت بإمكانية إحساسه بما يموج داخلها ، صرفت نظرها إلى أركان مهمتها التى لم تلبث قليلا حتى تيقنت من صعوبة إتمامها فى الظلام وشعرت ببعض الحيرة التى زالت بسؤاله لها: هل تريدين مساعدة؟
- أريدك تخرخ لكى أبدل ملابسى
بعد فترة صمت نمت عن تساؤلاته ضغط على مفتاح الكهرباء، فانتشر الضوء فاضحا ملامحه

الحيادية المتسائلة وكاشفا لألوان روبه التى تذكرها بصخب وضجيج الزفة وانسحب من الباب بجنبه دون أن ينبس.
بعد مجهود مضن تخلصت مما طرأ على هيئتها دون أن يجلب إليها أدنى فرحة، على العكس مما كان يحكى لها، وتأكدت من أنها عندما ستنظر فى هذه المرآة فلن ترى سوى زهرة المغرورة بجمالها الحازمة مع من يعترضون طريق مدرستها مشاكسين أو محبين. جلست على حافة السرير وكأنها تنتظر الصباح فتذهب لأمها أو لدراستها التى هى على يقين من انتهائها تماما. دخل عادل دون أن ترى دخلته التى تكرهها، لأنها إذا ما جلست على حافة السرير اليسرى أولت الباب ظهرها، وأشعل السهارى أولا ثم أطفأ الضوء؛ فبدا لون السهارى داميا باهتا ينبئ بمعركة ستغير مجرى حياتها، أو على الأقل ستكون علامة بارزة فيها. وجلس على حافة السرير اليمنى وبعد فترة وضع كفا ثقيلة مجهدة على كتفها من الخلف فاقشعر بدنها ومال كتفها مع كفه قليلا، بدا وكأنه يدلك رقبتها، وليس ثمة إحساس لديها الرغبة فى التخلص من يده الخانقة، زحف بثقله على السرير نحوها وألقى بكل ذراعه على كتفها، لتصل أنامله إلى صدرها، فأحست بثقل على كتفها لذراعه، وثقلا على مسامعها لكلماته التى يهمس بها فى مؤخر أذنها، وفجأة وجدت نفسها مطروحة على ظهرها تطالع بين حين وآخر صفحة وجهه التى تضاربت حمرتها مع حمرة الضوء التى تطلى هواء الحجرة كله، وأخذ يلعق وجهها وهى لا تبدى حراكا إلا

لتيسر تنفسها.... انتزع نفسه منها لينزع عن ترهلاته ما يسترها، ولما رأت صدره الضخم وتيقنت من كونه أضعاف ما تملك انتابها إحساس عارم بحرمة ما هى فيه وظلت محاصرة وهو يحوم حولها بحركاته البطيئة التى تنم عن عجز من نوع ما، ولم تدم طويلا إذ تسارعت أنفاسه وهيئ لها من لهاسه أنها فى معركة مع شخص لا تستطيع أن تحدد إن إحدى زميلاتها فى الدراسة أم أنه أحد أبناء الجيران، وانتهى الأمر بأن افترشها مرتبة بدلا من تلك الجديد التى كانت تجلس عليها، فشعرت وكأن جدارا قد انقض عليها، فأنشبت أناملها فى صدره دافعة إياه بكل ما أوتيت من قوة فى محاولة فاشلة لتجد نفسها كما كانت من قبل مالكة لأنفاسها ، وكررت المحاولة حتى كلت ذراعاها، وغابت فى نشيج طويل غير عابئة بعبث لا معنى له لديها، ووجه أمها بحكمته التى تيقنت من زيفها يتراءى لها فى الظلام وكأنه قد حوى ملامح الشيطان.

ولمرآة الحائط رأى آخر

سألته بشكل روتينى عن سبب انقطاعه، فانتهزها فرصة وأخبرنى عن رحلة عمل له بإحدى دول الخليج ... اندهشت لأسباب قديمة، ولكنى استطردت، وجلسنا نتحدث كما كنا من قبل، فيما يروق لنا من ضروب القول وشئون الحياة.. باستمرار يذكرنى برحلته التى لا أدرى لماذا لا أستطيع تصديقها.. ربما لأنى لم أجد ما يعيننى على تصديقها!!

لم يختلف كلامنا عما كان عليه كثيرا... ليس ثمة سوى تغير وحيد، وهو أنه يبدو أكثر انتفاخا وتضخما واعتزازا بنفسه من ذى قبل.

استدرجته إلى الحديث عن مشاكل الحياة وصعابها .. يبدو أنها رغبة خبيثة لدى فى أن أكشف عن حقيقة أمره؛ لذا أتقنت اللعبة وأخذت أعدّد له صعوبات الحياة ومشاكلها، بادئا بما حدث بينى وبين موظف السجل المدنى، ومارا بارتفاع الأسعار، وانتهاءً بفشلى الذريع فى الحصول على فرصة عمل، موفيا كلا منها حقها من القول ومقاوما رغبته فى الهروب.

توجت حديثى الذى طال بتعبير تعمدت من خلاله أن أذكره بما كان لى من السبق، وقلت:إن هذه الصعاب لا يصعب عليها البتة أن تذرع الذل بين عينى أعز عزيز منا. وأعدت الجملة بأسلوب آخر متلذذا بتكرارها... وبلا تخطيط منى وجدتنى أمسك به متلبسا ينظر فى مرآة الحائط المواجهة ويتأمل بين

عينيه، وينظر هل ما فيها من الذل واضح لمن يراه أم لا؟ ليتحول بعدها إلى ما كان عليه من قبل من الضعة والهوان فى القول، وأخذ يعدّد لى مشاكله ... حينها ابتسمت ابتسامة المنتصر.

انتحار

فى الركن البعيد من الحجرة المظلمة ظل قابعا...يرقب بعينين ملؤهما الرعب والخوف مارد الموت يعدو نحوه.. رغم عدْو الموت لا تنقص المسافة بينهما ... فى لحظة تهور وقف فاتحا أحضانه ولكن المسافة ظلت كما هى... تقدم خطوة للأمام ..وبعدها كان فى محاولة فاشلة لمضغ أشواك الموت التى تملأ فاه.

عجز

منذ زمن يجد نفسه مصرًّا على أن يكون ظالما ... ولما فشل فى ظلم الآخرين دون محاولة ...التفت إلى نفسه وتفنن فى ظلمها.

فيلم قديم

بعد موتى ببضعة أشهر كنت أتمشى فى إحدى شرفات الآخرة الممتدة ، فخطر لى أن أتلصص على أرملتى التى تركتها بعد زواجنا بأسبوع ، ولما رأيتها تحتضن طفلا جميلا وتناغيه ذاكرة اسمه مضافا إلى اسم كنت أنادى به؛ ظننت أننى أشاهد فيلما من أفلام ما قبل الخمسينات التى كنت أشاهدها أثناء فراغى فى الدنيا، وتلاشت ملامح أرملتى فى الوقت الذى لا أرى فيه شيئا واضحا غير ملامح الطفل يضحك، حينها توقعت ظهور كلمة (النهاية) على

وجهه.